الجدل[1] والهرطقات في العصور الوسطى (من القرن الثاني إلى القرن السادس الميلادي)

فاطمة إبراهيم أحمد طرينه .

قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة مصراتة.

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد،،،

الدين فكرة متأصلة في نفوس البشر جبلوا عليها منذ بدء الخليقة؛ فهو ليس مرحلة انقضت من تاريخ الفكر الإنساني؛ بل غريزة ملازمة للنفس البشرية، فالمورث الديني لم يكن حكراً على مجتمع بعينه، إنما هو ظاهرة اشتركت فيها المجتمعات والأمم على مر العصور، لم يذكر التاريخ أناساً عاشوا دون أن يكون لهم طقوس دينية خاصة بهم، ولم تخل أمة من الأمم على رغم تفاوتها في مدارج الرقي ودركات الهمجية من انتشار الفكر الديني فيها؛ فيستحيل أن تنتهي جماعة إنسانية دون أن يكون لها موروث ديني، قائم على تقديس الروحانيات، والتأمل في المسائل الأزلية، الذي لا يتولد في النفس البشرية إلا حينما يتسع أفقها؛ كنتيجة حتمية لتفاعل الجماعات فيما بينها، وانتشار العلم ونمو المعرفة فيها.

ومما لاشك فيه أن نشأة الديانة المسيحية في أجواء الحقبة الهلنستية، التي انتشرت في بلد المشرق العربي ومصر آنذاك؛ للتفاعل مع ما وجد فيها من ثقافات موروثة من الحضارات السابقة، التي شهدتها المنطقة، كان له الأثر الأكبر في التفاعل بين الإيمان والفلسفة الذي طبع الديانة المسيحية بطابعه؛ فأخرجها من الإيمان بالله إلى اللاهوت المعقد، فتشعبت فيها المذاهب وتعددت الرؤى، وبذلك استهوت هذه الديانة نفوس الفلاسفة والأدباء والمتعلمين، الذين تعمقوا في فهمها، ومناقشة مسائلها الدينية، باستخدام منطق العقل أو ما يعرف بالعقل الخطابي.

وبذلك شهدت القرون الأولى وخاصة القرن الثاني الميلادي، ظهور العديد من البدع والهرطقات على يد هؤلاء المتعلمين والفلاسفة، ولكن لم يخلد إلى ذهن أحد من رجال الاكليروس أو آباء الكنسية للتدخل لقمعها ووضع حد لها، وذلك راجع ربما لأنا لمروق والهرطقة[2] على المعتقدات - خاصة الدينية - منها قديم قدم المجتمعات الإنسانية نفسها، حيت يمكن اعتباره موروثاً سيكولوجياً في أعماق الأمة؛ فعندما يشيع في أمة معتقد وافد جديد؛ لابد أن يصيبه قدر من التكيف والتحريف والتصحيف؛ بالغوص والتأمل

(1) المفاوضة على سبيل المنازعة، وهي مأخوذة من جدلت الحبل، إذ فتلته وأحكمت فتله، وقيل إنه طريق للاستدلال والمناقشة، جادله أي ناقشه أو خاصمه، والجدل شدة الخصومة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة، بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب. يُنظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، رتبه: محمود خاطر بك، ضبطه: حمزة فتح الله وآخر، ط5، المطبعة الأميرية، بولاق، 1939، ص96؛ ويُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، مج1، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص569. ويُنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، تصحيح: حمزة فتح الله، ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، 1903، ص114.

(2) مفرد هرطقة، وهي من مصطلحات النصارى، ويقصد بها الإتيان بالبدع والخرافات المخالفة لأصول الدين، ويقال لصاحبها: هرطوقي أو اراتيكي. وتعني في الأصل انتقاء أو انتخاب أو اختيار لرأي ما مع تفضيله، ثم تطورت على يد اليونان لمتأخرين والكتاب الرومان؛ لتصبح تستعمل للدلالة على مذهب من المذاهب الفلسفية أو مدرسة من مدارس الفكر تم شقت طريقها للدين فصارت تطلق على الفرق والطوائف المختلفة. يُنظر: الرازي، المصدر السابق، ص694؛ ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص 4655؛ الأنبا غريغوري، اللاهوت المقارن، مكتبة المتنيح، (د.ت)،2003، ص13.

[11]استلمت الورقة بتاريخ 26 مايو 2020، وروجعت بتاريخ 12 يوليو 2020، وقبلت بتاريخ 28 يوليو 2020، ومتاحة على الانترنت بتاريخ 29 يوليو 2020

في مسائله الأزلية ومعتقداته الروحانية، بما يتفق مع ذهنية هذه الأمة؛ من أجل سمو الروح وتطهيرها لبلوغ أعلى درجات النضج والكمال.

وتكمن **أهمية الدراسة** في تناول التطور الحادث على الديانة المسيحية، وما أصابها علي يد بعض المهرطقين والفلاسفة من القرن الثاني إلى القرن السادس الميلادي، كان بمثابة الشرخ أو بداية الانقسام والانشقاق الذي أخرجها من دائرة التوحيد إلى عقيدة التثليث. ومن - هنا نستطيع القول - أن **الهدف من هذه الدراسة** الوقوف على أهم التفسيرات العقائدية التي طرأت على طبيعة المسيح، أدخلت الديانة المسيحية في مجادلات عنيفة، أفسحت المجال لظهور العديد من الفرق والمذاهب، قادها نخبة من المتعلمين واللاهوتيين الذين فسروا ديانة المسيح بما يخدم مصالحهم؛ فأفضت بطبيعة الحال على تشكيل أطر عقائدية منحرفة، تسببت في تحريف المسيحية وتصدع الكنيسة المسيحية، التي غرق آباؤها في المشاحنات والمجادلات، وتوزعوا على فرق وشيع كل واحدة منها اعتبرت نفسها الأصل وغيرها الفروع، وعندما عجزت الكنائس المحلية في القضاء على هذه الفرق، اتجهت لحل هذه المشاكل الدينية، التي كان لها أثرها علي سياسية الإمبراطورية الرومانية، بعقد المجامع المسكونية التي كرست بدورها الانشقاق، وعمقت الفجوة والتباعد، بما أصدرته من قرارات أدت لظهور هرطقات جديدة، أصبحت أساس الديانة المسيحية فيما بعد.

تقوم **الدراسة على فرضية:** لعل المجادلات العقائدية والهرطقات التي أصابت الديانة المسيحية، أسهمت في إخراجها من كونها ديانة سماوية؛ تدعو لوحدانية الله إلى دائرة اللاهوت المعقد، وعقيدة التثليث.

وستنتهج هذه الدراسة **منهجاً تاريخياً** يعتمد على سرد الأحداث التاريخية، وتجميع النصوص لدراستها، وتحليلها؛ بغية الوصول نتائج تاريخية مقنعة ورصينة.

لكن قبل الخوض في هذه الهرطقات التي ظهرت سواء في القرون المسيحية الأولى، أو العصور الوسطى، كما يسميها اللاهوتين[1]. يجذر بنا التعرف على صورة الله كما صورته الأناجيل:

أولاً: صورة الله في الفكر المسيحي:

عند دراسة الأناجيل، توجد ثلاث قضايا مهمة توضح صورة الله، وهذه القضايا جاءت في الأناجيل، وأقرها القرآن الكريم، وأكد عليها، وفيما يلي عرض لهذه القضايا وتأكيداتها من القرآن الكريم.

- **أن الله واحد لا شريك له في السموات والأرض:**

ومنها قول المسيح -عليه السلام-: "إن أباكم واحد هو الذي في السموات"[2]. قوله: "للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد"[3].

من هذه النصوص نستنتج أن المسيح يؤكد على وحدانية الله، وهذا ما يقره القرآن الكريم و يؤكده في الآيات التالية منها قوله تعالى: {إِنّ اللهَ رَبِي وَرَبُّكُمْ هَذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ}[4]. وكذلك قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة وَمَا مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [5].

(1) موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص145.

(2) إنجيل متى، الإصحاح السادس 23/8، ص10.

(3) إنجيل متى، الإصحاح 4/10، ص17.

(4) سورة آل عمران، الآية (51)، ص56.

(5) سورة المائدة، جزء من الآية (73)، ص120.

- **أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول:**

وقد أكدت الأناجيل ذلك في مواضع عدة؛ ومنها ما ورد في إنجيل متى: " من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني" [1]. أما في إنجيل لوقا فقد ورد " قد خرج فينا نبي عظيم" [2]. كذلك قول المسيح -عليه السلام- : " أنا إنسان قد أكلمكم بالحق الذي سمعه من الله"[3]. وقد أشار القرآن الكريم أن المسيح -عليه السلام- رسول من عند الله، كغيره من الأنبياء والرسل في عدد من الآيات منها؛ قوله تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وءَاتَيْنَـٰهُ الإِنْجِيلَ}[4]. وقوله: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[5].

- **أنه رسول إلى بني إسرائيل خاصة:**

جاء في قول المسيح -عليه السلام- : "ما أرسلت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" [6]، وقد أكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوراةَ والإِنْجِيلَ ورَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَاءيل}[7]. وكذلك قوله: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِيإِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ} [8].

ثانياً: مراحل الجدل والهرطقة:

أسفرت موجة الاضطهادات الدينية التي شنها أباطرة الرومان ضد أتباع الديانة المسيحية؛ لظهور العديد من الهرطقات التي كانت سبباً في حدوث الانقسامات بين معتنقي هذه الديانة، فقد استفزت الاضطهادات الدينية وفساد بعض رجال الدين و الإكليروس بعض أتباع هذه الديانة من البسطاء للقول بهذه الهرطقات والبدع، أما في الفترات اللاحقة وخاصة بعد عقد مجمع نيقية[9] 325م، فكانوا أصحابها من رجال الدين و اللاهوتين أنفسهم[10]، وقبل الخوض في هذه الهرطقات وما ترتب عنها، نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى ظهورها. ويمكن إجمالها في الآتي:

السبب الأول: دخول أعداد كبيرة من الأمم للمسيحية، ومحاولاتهم الدمج بين معتقداتهم الدينية والإيمان المسيحي، نتيجة للتغيير الذي أحدثه القديس بولس[11] في تاريخ دعوة المسيح، حيث حولها من ديانة خاصة بفئة أو طائفة معينة إلى ديانة شاملة لجميع الأمم والشعوب، وبذلك تحولت من ديانة شرقية من

(1) إنجيل متى، الإصحاح 10/ 40، ص19.

(2) إنجيل لوقا، الإصحاح 16/7، ص103.

(3) إنجيل يوحنا الإصحاح 40/8، ص163.

(4) سورة الحديد، جزء من الآية (27)، ص538.

(5) سورة المائدة، جزء من الآية (75)، ص121.

(6) إنجيل متى، الإصحاح، 15/ 24، ص68.

(7) سورة آل عمران، الآية (47)؛ ومن الآية(48)، ص54.

(8) سورة الصف، جزء من الآية (6)، ص549.

(9) من أعمال اسطنبول في البر الشرقي عُقد فيها أول مجمع ديني مسكوني. يُنظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، تحقيق: عبد العزيز الجندي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص375.

(10) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص39.

(11) يقال له تدواس، وكان اسمه في اليهودية شاول، ويعرف ببولس الطرطوسي(بولس تارسا)، وأصله من إقليم كليكيا في آسيا الصغرى، ويقال إنه يعرف اللغة العبرية واليونانية لغة لا كتابة، وله الفضل في نشر دعوة المسيح في سوريا وآسيا الصغرى وروما، وكان في البداية خصماً للمسيحيين، لينتهي بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيحية. للمزيد يُنظر: إنجيل مرقص، الإصحاح الثالث،19/13؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تعليق: محمد شمس الدين، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص365؛ كمال الصليبي، البحث عن يسوع (قراءة جديدة في الأناجيل)، دار الشرق، رام الله، (د. ت)، ص99-102.

حيث النشأة والظهور، لديانة غربية من حيت الهوية والانتشار[1]. ولكن السؤال المطروح هنا: كيف حدث هذا التحول؟

جذب القديس بولس اليهود للمسيحية عندما أدخل عليها بعض التعاليم اليهودية، فضلاً عن قيامه بإلغاء بعض الشرائع الموجودة في الديانة المسيحية، التي كانت سبباً في نفور العناصر الأخرى وخاصة الرومان منها مثل الخضوع للتشريعات، ونقل الوصايا الخاصة بشأن الأطعمة والصيام والفروض، الأمر الذي دفع بعضهم لإيجاد طريق وسط بما لا يتعارض مع مبادئ اليهودية ولا ينكر المسيحية، وخاصة أن اليهود أنفسهم في أول الأمر كانوا يبشرون بالمسيحية على أنها العقيدة اليهودية التي دخلها الإصلاح[2].

ساعد القديس بولس في اعتناق العناصر الوافدة على الإمبراطورية الرومانية للمسيحية، عندما أدخل عليها صوراً من الفلسفة الهلنستية، ذلك باستعماله التعابير والمصطلحات الفلسفية الهلنستية؛ بغية تطهير الروح وخلاصها، كما تبنى آراء من ديانات الأسرار[3] من أجل هذا السمو الروحي، الذي لا يأتي إلا من خلال اتحاد الإنسان بالله لينقل الديانة المسيحية من التوحيد، إلى القول بإلوهية المسيح وعقيدة التثليث (الأب – الابن – روح القدس) الأمر الذي ساعد على التقارب والامتزاج بين سكان البلاد الأصليين والعناصر الوافدة، الذين أظهروا وازعاً دينياً عميقاً في الدفاع عنها، واعتبروا أنفسهم حماة للمسيحية[4].

السبب الثاني: تبني بعض العناصر المسيحية للغنوصية، وهي ترجمة للكلمة اليونانية (gnosis)[5]؛ نوع من الفلسفة الدينية، المتأثرة بالأفلاطونية الحديثة تهدف لإدراك المعرفة اليقينية السامية- أي معرفة الإله والكون معاً- وهذا لا يكون إلا عن طريق التأمل في الذات الإلهية [6].

من هذا العرض نلاحظ أن الغنوصية اصطبغت بطابع ديني روحاني، وتبنت في فلسفتها عقيدة (وحدة الوجود) بمعنى وحدة الخالق والمخلوق، أي: إن جميع المخلوقات جزء من كينونة الخالق، وتمتلك نفس صفاته ولكن بدرجات متفاوتة، لذا وجب على الإنسان الغنوصي أن يعذب بدنه (الجانب المادي) لتطهير روحه (الجانب الإلهي).

بذلك فتحت هذه الأسباب الباب على مصراعيه لحدوث الانشقاق الديني الذي أصاب الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، ووجدت في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية مسرحاً خصباً لها؛ لتمهد فيما بعد إلى الانشقاق الديني الكبير بين الكنسية الشرقية في بيزنطة والكنسية الغربية في روما.

---

(1) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا،ج1، دار الفكر، 1967، ص63.

(2) كمال الصليبي، مرجع سابق، ص 100.

(3) هي ديانات من أصل شرقي، وكانت آلهة ديانات الأسرار من أصل نباتي، ثم اصطبغت بالهـــلنستية وتبناها اليونان والرومان، لما زودتهم من أمل وطيد بخلود ذواتهم، بعد اطلاعهم على أسرارها مما يحقق لهم الاتحاد مع الإله، وكان ديونسيوس من أقدم هذه الآلهة، وكانت إيزيس المصرية أرفعها شأناً، وكانت ديانة ميثرا Mithras إله الشمس عند الفرس أحدثها وأكثرها شعبية، حيث لقيت في القرن الثالث الميلادي ترحيباً عظيماً من قبل جنود الرومان، وصورت الحياة كصراع مستمر بين إله الخير والشر. يُنظُر: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وآخر، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص 117، ص368 –369.

(4) عبد الرزاق الأسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب،العربية للموسوعات، بيروت، 1981، ص 209؛ جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص80–86.

(5) يُنظر: رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص25.

(6) نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق، (د.ت)، ص78.

1. المرحلة الأولى:

وفي هذه المرحلة سنتطرق إلى الهرطقات التي قالها ونادى بها أناس بسطاء. ولكن قبل ذلك السؤال المطروح هنا: ما الذي دفع عامة الناس للقول بهرطقات كانت السبب في انشقاق الديانة المسيحية؟

مما لاشك فيه أن المسيحية ديانة باطنية طفحت على السطح لتصبح فيما بعد ديانة ظاهرية. ونعني بالظاهرية هنا كما عرفها "رينيه غينون" نقلاً عن " ف. شيئون" في كتابه" الإيمان" بقوله: "ما لاغني عنه لجميع الناس وفي متناولهم جميعاً وفي نفس الوقت ومن غير تميز"[1].

ومن هذا التعريف نستطيع القول إن الديانة المسيحية كانت في البداية ديانة باطنية (خاصة)، عندما كانت تتوجه للمنحرفين من بني إسرائيل فقط. أي: أنها جاءت لتصحيح وإكمال توراة موسى-عليه السلام- ؛ لتعديل ما قام به بعض الأحبار والرهبان من تجاوزات وتحريم الطيبات، وهذا ما أكده المسيح-عليه السلام- بقوله: "ما أرسلت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" [2]، ثم تحولت إلي ديانة ظاهرية (عامة) تتوجه لعامة الناس علي يد القديس بولس كما ذكر في أعلاه. ومن هذه الهرطقات:

أ. الدوناتية:

تنسب إلى الراهب دوناتوس، وهو من مواليد مدينة كساي نقراي الواقعة على الحدود النوميدية شرقي جبال لأوراس، استمر يتزعم فكر هذه الطائفة حتى وفاته سنة 355م[3]، وكانت في بدايتها اختلافات عقدية بسيطة حول نزاهة بعض الأساقفة، الذين طالبوا أن يتم تأدية الأسرار الخاصة بالديانة المسيحية على يد أساقفة وقساوسة طاهري الأرواح، الأمر الذي رفضته البابوية، وتطور الوضع إلى حدوث انشقاق بسبب المناوشات الاضطهادات التي قامت بها البابوية ضد أنصار هذا المذهب، واعُتبر كل من وقع ضحية هذا الاضطهادات شهيد[4].

ونتيجة لهذه الأحداث قام الإمبراطور هونوريوس[5]، بعقد مجلس ديني سنة 411م؛ تقرر فيه منع الدوناتية من عقد الاجتماعات العامة، وكذلك تسليم كافة ممتلكاتهم للبابوية إلا أن الدوناتيين رفضوا هذه القرارات، التي نتج عنها ظهور فئة جدية عرفت باسم الداورين[6] وقد أثارت أعمال العنف التي قاموا بها الانزعاج في نفوس الأساقفة الدوناتيين أنفسهم بعد عجزهم عن السيطرة عليهم، مما اضطرهم إلى طلب المساعدة من قادة الجيوش الرومانية الأمر الذي أدى إلى مقتل العديد منهم[7].

ولكن المفارقة هنا أن الدوناتيين اعتبروا هؤلاء الداورين شهداء سقطوا نتيجة عنف الاضطهادات التي مارسها أباطرة الرومان ضدهم، في حين أن الأساقفة الدوناتين هم من طالبوا بإخماد ثورتهم،

(1) ف. شيئون، الإيمان والإسلام والإحسان، ترجمة: نهاد خياط، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1996، ص90. للمزيد يُنظُر أيضا: Frithj of schoun, Del'unite eranscena dante des religions, Paris, 1979, p.156.

(2) إنجيل متى، الإصحاح، 15/ 24، ص68.

(3) ب.هـ. رومنقيين، تاريخ ولايات شمال افريقية الرومانية، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، ط4، (د.م)،1994، ص122.

(4) محمد محمد الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص60.

(5) أحد أبناء الإمبراطور ثيودسيوس (337– 395م) الذي يعتبر نهاية حكمه بداية للتاريخ الأوروبي الوسيط، فقد قسم الإمبراطورية بين والديه، فكان من نصيب هونوريوس القسم الغربي وعاصمته روما، وظل فيها حتى دخول القوط الغربيين بقيادة لاريك إليها في 410م؛ لينتقل إلي مدينة رافنا بعد نفيه لها. يُنظر: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط2، دار النهضة العربية، بيروت،1986، ص18–19.

(6) هم مجموعة من المزراعين يقودهم عدد من الرهبان والقساوسة الدوناتيون، وكانوا يدرون حول المخازن الريفية للحصول على المؤن، فضلاً عن نشر مبادئهم وتعاليمهم،وكانوا يرددون هتاف (المجد لله). يُنظر: ب.هـ. رومنقتين، المرجع السابق، ص129.

(7) نورمان.ف. كانتور، قصة الحضارة (البداية والنهاية)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط2، عين للدراسات والبحوث، المنصورة، 2000، ص68–69.

الأمر الذي دفع القديسين أوغسطين[1] بالخروج عن آرائه القديمة القائلة: " لا يجب أن يرغم أحد على القول بوحدة المسيح....وأنه لا ينبغي لنا أن نقاتل الناس بقوة الحجة لا بقوة العقل"[2]. وطالب أوغسطين بتنفيذ عقوبة الإعدام ضد من وصفهم بالمارقين أتباع الفكر الدوناتي، وهذا ما أكده بقوله: "إن إيقاع الأذى ببعض الدوناتيين خيراً من إن تصب اللعنة على الجميع" [3].

وفي الحقيقة الأمر فإن موقف أوغسطين من الدناوتيين يشوبه بعض الغموض وخاصة أن هذه هرطقة لم تقل بوحدة طبيعة المسيح، وأنه من طبيعة واحدة؛ بل كانت في حقيقتها ثورة اجتماعية قامت بها الطبقات الدنيا من المزراعين الذين يشكلون الجزء الأكبر في المجتمع الريفي آنذاك ضد الارستقراطية في الشمال الإفريقي.

ب.الأيبونية:

جماعة خرجت من أورشليم، وانتشرت في المناطق المجاورة إلى أن وصلت لروما، وكانت تنادي بالعودة إلى الناموس؛ فجاءت لتطبيق تعاليم التوراة سواء على مستوى العقيدة والسلوك الديني[4]. وكان ظهورها في القرن الثاني الميلادي واستمرت إلي القرن الخامس الميلادي، ولكنها لم تصبح مذهبًا له أتباعه ومريدوه إلا في فترة حكم الإمبراطور تراجان (98-117)[5].

ارجع البعض اسم هذه الطائفة لمؤسسها الذي يدعى ايبون، وقد ذكر الأنبا غريغوريوس إن أيبون في العبرية تعني الفقير أو المسكين وجمعها ابيونيم (الفقراء) وأن الأيبوبيون هم من أطلق على أنفسهم هذه التسمية معتبرين أنفسهم فقراء أو مساكين كما أوصى بذلك المسيح -عليه السلام- [6]، وقد ظهرت هذه الهرطقة أثناء حياة القديس يوحنا بقوله: " إن يسوع هو المسيح، من هو الكذاب الذي ينكر أن يسوع هو المسيح"[7]. في حين أن يوسابيوس القيصري في كتابه "تاريخ الكنيسة" يقول: " أن المسيحيين الأوليين أطلقوا على الأبيونيين هذا الاسم المناسب لأنه كانوا يعتقدون في المسيح معتقدات فقيرة" [8].

وأياً كان سبب هذه التسمية فإن أتباع هذه الطائفة يؤمنون بأن المسيح نبي مرسل من عند الله، ويرفضون ميلاده العذري ووجوده قبل التجسيد؛ بذلك لا يعتبرونه اللوغوس (كلمة الله حكمته) لأنه في نظرهم ابن مريم من يوسف[9].

---

(1) هو اوريليوس ولد عام (354–430م)، من أب وثني، وأم مسيحية، بمدينة طاغشة في شمال أفريقيا (سوق أهراس حالياً) في الجزائر، اشتغل بالتعليم وتدريس البلاغة، وتأثر بعدة ثقافات منها اليونانية والفارسية بالإضافة إلى المسيحية، وانتقل من قرطاجة إلي روما، ثم ميلان، ومن أشهر تلاميذ القديس أمبروس، وألف عدة مؤلفات منها مدينة الله، والاعترافات، ودافع فيهما عن المسيحية. يُنظر: أشرف حافظ، معالم الفكر الأوروبي في العصر الوسيط، دار طيبة، بنغازي، 2004، ص32–37؛ يحي بوعزيز،"عنابه في التاريخ"، الأصالة، عدد7، يونيو، 1976، ص19– 30.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مج3، ج3، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص165.

(3) نفس المرجع والصفحة.

(4) رمسيس عون، مرجع سابق، ص19؛ نهاد خياطه، مرجع سابق، ص77.

(5) ماروكس أليبيوس ولد عام 53م، في مدينة يتاليكا، وعمل أثناء شبابه في الجيش الروماني، وارتقى في صفوفه وكان والده حاكم"Syria" في(76–77م)، وتم تعينه قنصلاً، وبذلك شارك الإمبراطور دوميتيان في حروبه، وقام نيرون خليفة دوميتيان بتسميته ابناً له بالتبني وخليفته في الحكم في 27 يناير 98م. للمزيد يُنظُر:
Glover, (T.R), The Conflict of Religions in the Earl Roman Empire, London,1909,p315.

(6) الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، ص28.

(7) إنجيل يوحنا، الاصحاح22/2، ص148.

(8) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تعريب: مرقس داود، دار المحبة، القاهرة، 1998، ص155.

(9) يُنظر: الأنبا غريغوريوس، المرجع السابق، ص40؛ فياض ومنصوري، النصارى، دار أسامة، دمشق، 1998، ص31.

وتبين من ذلك أن الأيبونيين يرفضون القول بعقيدة التثليث، أي أن المسيح خلقه الله كما خلق باقي البشر، فهو إنسان كسائر البشر ولدته مريم ولادة طبيعية، أي أنهم يعترفون بناسوت المسيح وينكرون لاهوته، وهذا ما يتعارض مع إيمان البابوية أنه ابن الله ومساوٍ له في كل شيء.

ج. المرقيونية:

هم أتباع مرقيون، من أبرز مسيحي القرن الثاني الميلادي؛ ولد في الأطراف الشرقية للمناطق التي انتشرت فيها المسيحية، في المنطقة القريبة من البحر الأسود، تم اتجهوا إلي مدينة روما[1]، وحاول مؤسسها في البداية التوفيق بين الغنوصية (الخلاص عن طريق المعرفة) والمسيحية؛ لتبدأ بعد ذلك الانحراف بسبب مبادئها التي تقول أن للكون إلهين[2]؛ (الإله المتعالي): وهذا الإله غير ظاهر، ليس هو الخالق لهذا الكون[3].أما (الإله الخالق): فهو أقل من الإله (الأول) في الدرجة والمكانة، ولكنه يمتلك وسائل القوة والجبروت، ويعتبر الإنسان نتاجاً له لأنه المسؤول عن عملية الخلق، واختار الشعب اليهودي، وميزه عن غيره من الشعوب التي ظلت فريسة الوثنية بأن منحه الناموس الإلهي[4].

من خلال هذا العرض يتضح لنا أن تعاليم هذه الطائفة كانت تقوم على الثنائية، فقد تأثرت في مبادئها وأقوالها بالمعتقدات الفارسية، التي دخلت على الديانة المسيحية من اليهودية التي امتزجت بها بعض الأفكار الفارسية، ويبدو أيضا أنه بحكم نشأة هذه الطائفة في آسيا فقد تبنت الفلسفة القائلة إن الحياة معركة فناء بين إله الخير وإله الشر، مما أدى لامتزاج المسيحية بالمانوية في العصر الوسيط، والتي خلقت الفلسفة اللاتينية فيما بعد.

2.المرحلة الثانية:

قاد هذه المرحلة من الهرطقات اللاهوتين ورجال الأكليروس، وقد شهدت هذه المرحلة جدلاً واسعاً حول طبيعة المسيح[5]، الأمر الذي أدى لاحتدام الصراع بين البابوية والمهرطقين، ورفضت المؤسسات الدينية وخاصة الكنائس بقاء رجال الدين و اللاهوتين داخل جدرانها، رغم أنها وفرت لهم الحماية لمدة أربعين يوماً في البداية بغية رجوعهم لجادة الصواب، والتخلي عن أقوالهم- حسب اعتقادها- ولكن في حالة عدم الاستجابة تقوم بطردهم، ولا يحق لهم العودة إليها إلا بعد تخليهم عن الهرطقة[6]، الأمر الذي دفع بهؤلاء للاتجاه للأديرة واتخذوها مأوى لهم؛ ومسرحاً لمناقشة الآراء والأقوال التي نادوا بها، مما زاد من عمق الفجوة بين الكنيسة وأصحاب هذه الهرطقات[7].

ومما لاشك فيه أن السبب في معارضة البابوية لهذه الأقوال، يرجع للصورة التي عليها المسيح في نظر معتنقي الديانة المسيحية، فهو في- نظرهم - اللوغوس الذي خلق الله به كل شيء[8]؛ فالمسيح ليس

(1) نهاد خياطه، مرجع سابق، ص80.

(2)Gibbon (E.D), The Decline and fall the Roman Empire,vol,1, The modern library, nowyork,p,678-679.

(3)جون.أ.هامرتن، تاريخ العالم،"الأديان المتنافسة"، بقلم: و.ر. انج، ترجمة: إدارة الثقافة بوزارة التعليم، مج4، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص 72.

(4) بيير كانيفييه، المسيحية في سورية من البدايات حتى الإسلام، ترجمة: موسى الخوري، دار أبجدية، دمشق، 1999، ص56–57.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص39؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص32.

(6)ج.ج.كولتون،عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 103 .

(7) عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية (476–1500م)، المكتبة العصرية، بيروت، 1966، ص74.

(8) عبد الرزاق الأسود، مرجع سابق، ص 213.

إنساناً حملته أمه ووضعته، بل هو ابن الإله الأزلي ولا فرق بينهما، هذا ما أكده إنجيل يوحنا بقوله: "في البدء كان الكلمة [اللوغوس] والكلمة كان عند الله" [1].

وظهر أول استخدام لمصطلح اللوغوس في القرن السادس ق.م، بعد أن احتلت كلمة اللوغوس مكانة مهمة في الفلسفة الرواقية[2] في القرن الثاني ق.م، حيث اعتقد الرواقيون بأن اللوغوس أقدم شيء في العالم، هو قوة الله الخلاقة[3]، وهو صورة الله وفكره الذي به يدير شؤون هذا العالم، فالإله أسمي من أن يدير المادة بنفسه[4]. إن حدوث الاتحاد والحلول بين الإله والنفس البشرية لا يتم إلا عن طريق ما يعرف بالعروج الباطني، أي: "حلول روح الإله داخل المادة أو النفس البشرية" [5]، في حين أن الحلول لا يتأتى إلا من خلال اللوغوس الذي هو وسيط بين الإله والعالم الذي خلقه، وهذا ما أكده القديس بولس بقوله: " يوجد إله واحد، وسيط واحد بين الله، والناس والإنسان،يسوع المسيح" [6].

نظراً لهذه الصورة التي عليها المسيح عند أتباع الديانة المسيحية، صدمت آراء أصحاب هذه الهرطقات الكثير من رجال الدين و الأكليروس؛ ليبدأ الصراع على أشده حول طبيعة المسيح الإلهية والناسوتية، أهو ذا طبيعة واحدة أم ذا طبيعتين؟

ومن هذه الهرطقات:

أ.الآريوسية:

ظهرت في القرن الرابع الميلادي، وتنسب إلى آريوسArius[7]؛ الذي تأثر بالمدرسة الأفلاطونية، مما جعل آراءه تبدأ بموقف أفلاطوني بقوله: أن الإله موجود قديم دائم أزلي، لا يمكن إدراكه[8]، وبذلك أعلن آريوس على الملأ بأن المسيح لم يكن إلهاً، فهو مخلوق [مولود] من الله، وبذلك فإن علاقته مع الأب علاقة بنوة، وليست مساواة ومشاركة في ذات الطبيعة[9].

---

(1) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول /1، ص145.

(2) مذهب فلسفي انتشر بين مجموعات من الناس ألهوا في البداية الأثر الإلهي الذي ينطوي عليه العقل والكون، وهذا الأثر الذي يخترق العالم، ليس الإنسان إلاَّ ذرة فيه، وكل إنسان ينطوي في ذاته على جانب إلهي في عرف هذا المذهب، ثم برز اتجاه في الرواقية جعل من العناية الإلهية إلها شخصياً، يمكن التوسل إليه بالصلاة، ويحاول تأكيد الاتحاد بين الله والإنسان، وأن بوسع الإنسان أن يحظى بالخلود. يُنظر: محمد محمد الشيخ، مرجع سابق، ص 22؛ السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1968، ص22.

(3) ماهر عبد القادر وحربي عباس، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 ص109.

(4)جون.أ.هامرتن، تاريخ العالم، "حرب المذاهب"، بقلم: ولتر فيلبس، ترجمة: إدارة الثقافة بوزارة التعليم، مج4، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص363.

(5) و.ر. انج، "الأديان المتنافسة"، تاريخ العالم، مج4، ص65.

(6) عبد الرزاق الأسود، مرجع سابق، ص 214.

(7) هو أحد قساوسة الإسكندرية، من أصل ليبي ولد سنة 256م، تعلم على يد معلمه أوقيانوس، ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث انخرط في سلك الكهنوت، وكان واسع العلم والمعرفة، وفي 310م، أصبح شماساً لبطرس بطريرك الإسكندرية، ورُقي في 313م إلى مرتبة قسيس بعد وفاة بطريرك الإسكندرية. يُنظر: محمود سعيد عمران، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 62-64.

(8) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص57؛ رمسيس عون، مرجع سابق، ص72.

(9) المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص485؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تلبيس إبليس، تحقيق: محمد بن الحسن إسماعيل، سعد عبد الحميد السعدني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص86.

وبما أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولذلك يلزم منطقياً أن وجود (الابن) كان لاحقاً لوجود (الأب) الإله، فلو كان الابن أزلياً، أي: أنه موجود قبل الخليقة وقبل كل الأزمنة فمن الطبيعي أن يرتبط بالأب الذي قبله أو يأخذ من كيانه[1]. ومن هذا الكلام يتضح لنا التالي:

أ- إذا كان الابن أزلياً سيقود حكماً لاعتباره كما الأب[الإله] مبدأ وأساس بدء خلق كل المخلوقات الأخرى، وهذا غير جائز؛ "لأن العقل البشري لا يمكن أن يقر بوجود مبدأين وأساسين للخلق"[2].

ب- بما أن الابن مرتبط بالأب، والابن مولود من الأب، أي: أخذ جزءاً من كيانه[ذاته أو جوهره]، بذلك يمكن القول إن الابن لم يكن موجوداً في وقت من الأوقات بناء على ما ذكر.

وبذلك فالآريوسية لا تعتقد بألوهية المسيح[3]، بما الابن مخلوق من الإله - حسب نظرهم - فهذا يؤكد أن له بداية في حين أن الأب قديم أزلي، لا يمكن أن يكون إلهاً، لأنه خلق من العدم، وليس من نفس المادة الإلهية[4]. ولا يمكن أن يعادل الابن [المخلوق]، الإله [الرب]؛ لأنه أقل منه في المستوى والقدرة [5].

وتبعاً لذلك فإن آريوس رفض ما ذهبت إليه عقيدة التثليث القائلة إن الأب منح جزءاً من كيانه [جوهره] للابن سيؤدي إلى انقسام الطبيعة الإلهية، التي في- نظره- "غير قابلة للانقسام، ولا للتغير والفساد" [6].

ونظراً للصورة التي عليها المسيح عند أتباع الديانة المسيحية، فإن آراء آريوس صدمت الكثير من رجال الدين الذين كانوا يعتقدون " أن الابن مثل الأب، قديم دائم أزلي، ومن طبيعة واحدة" [7]. وقد توسع الموقف كثيراً، ذلك أن عقيدة آريوس لم تقتصر على مصر، بل انتشرت في العديد من المناطق الأخرى، مما دفع أسقف الإسكندرية إلى تكثيف جهوده في مقاومة عقيدة آريوس، ومنعها من الانتشار في الولايات الرومانية[8]، ولكن بسبب شدة النزاع اضطر قسطنطين[9] للتدخل وإصلاح الأمر بين آريوس وأسقف الإسكندرية، الذي أصدر بدوره قرار الحرمان ضد آريوس[10].

وحفاظاً على وحدة الإمبراطورية الرومانية، وخوفاً من حدوث انشقاق ديني، دعا قسطنطين إلى عقد مجمع ديني في مدينة نيقية عام 325م، لوضع حد للانقسامات الدينية، وقد تمكن هذا المجمع في

---

(1) السمرقندي، محمد بن محمد، كتاب التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، (د.ت)، ص210؛ ولتر فيلبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم،مج 4، ص370.

(2) السمرقندي، المصدر نفسه، ص211-212.

(3) مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا (476-1500م)، دار أسامة، عمان، 2004، ص37.

(4) محمود سعيد عمران، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ص67-68.

(5) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص 70.

(6) رمسيس عون، مرجع سابق، ص75.

(7) السمرقندي، المصدر السابق ، ص210.

(8) عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص40، سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص41.

(9) قسطنطين الكبير(274-337م)، ابن قسطنتيوس كلورس، أصبح إمبراطور لروما عام 306م. وهزم خصمه ماكسانس على أبواب روما عام 312م، وقد أطلق الحرية للدين المسيحي بموجب مرسوم أصدره في مدينة ميلانو 313م، وقيل أنه اعتنق المسيحية في عام312م، وأسس مدينة القسطنطينية؛ واتخذها عاصمة له في عام 330م. يُنظر: جان كمبي، الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط2، دار المشرق، بيروت، 2002، ص94.

(10) السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص 73؛ ولتر فيلبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج 4، ص 365.

النهاية من الوصول إلى صياغة عقيدة يقبلها الجميع تتضمن المبادئ الأساسية لديانة المسيح[1]. وكان من أهم القرارات ما يأتي:

- قرار خاص بإثبات إلوهية المسيح، وذلك عندما اقترح قسطنطين إضافة لفظ واحدة، يصف العلاقة بين الابن والأب "بأنه من طبيعة واحدة"[2]، وهذا يعني أن المسيح إلهاً مساوياً للأب في المنزلة والمكانة، وهذا مخالف لما قاله آريوس.

- تكفير آريوس، وتكفير كل من يقول أن المسيح مجرد بشر، وليس إلهاً وابن إله[3].

- إحراق جميع الكتب التي لا تقول بإلوهية المسيح، وتحريم قراءتها، اختيار أربعة أناجيل على معيار التصويت وهي: متى، مرقس، لوقا، يوحنا[4]. ولكن آريوس وبعض أتباعه رفضوا الاعتراف بقرارات هذا المجمع، مما دفع المجمع إلى إصدار قرار الحرمان ضده ونفيه[5].

وبكل تأكيد أن آريوس في عقيدته كان ينادي بالتوحيد؛ أي: أن الابن لا يساوي الأب قدسية، ولا جوهراً أو أزلية، وأن الإجماع السياسي الموحد الذي ظهر في مجمع نيقية لم يضع الحل النهائي لهذه المشكلة، فالآريوسية لم تمت بنفي زعيمها، والدليل على ذلك ما قام به قسطنطين خوفاً على الإمبراطورية الرومانية، ومحاولة منه لاستكمال وحدة الكلمة، بأن " أصدر عفواً عن آريوس وأمر بإعادته إلى منصبه في الإسكندرية، ولكن آريوس ما لبث أن توفى عام 336م" [6].

ب-الآثناسيوسية:

تنسب هذه العقيدة إلى أثناسيوس[7]، الذي كان على علاقة طيبة ببطريرك الإسكندرية، مما ساعده فيما بعد على الارتقاء إلى عرش بطريرك الإسكندرية، بعد وفاة لإسكندر عام 328م[8]. وكان أثناسيوس يؤمن بما جاء من قرارات في مجمع نيقيه325م، من أن للمسيح طبيعة إلهية، ولذلك فهو مساوٍ للأب في الجوهر والأزلية، بحكم أنهما من عنصر واحد، وأنه مولود من الأب (الإله) مباشرة[9].

أدت هذه الآراء إلى صراع شديد بين آريوس و أثناسيوس، بسبب تناقض الآراء بينهما، فالعقيدة الآريوسية التي تنكر ألوهية المسيح صادفت أن لقت قبولاً كبيراً عند بعض رجال الدين، وانضم إليها بعض الفئات الأخرى من المفكرين، والفلاسفة الذين ينكرون سر الألوهية، واشتد الخلاف بينهما، الأمر

(1) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص318؛ المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص385؛ السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص 73؛ عمر كمال توفيق، مرجع سابق، ص70.

(2) ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، بيروت، (د.ت)، ص42.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 41.

(4) ليلي عبد الجواد إسماعيل، المرجع السابق، ص 42؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص57.

(5) السيد الباز العريني، أوروبا في العصور الوسطى، ص74.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص 41–42؛ عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص71.

(7) ولد في عام 296 م، ينتمي إلى أسرة مسيحية، وكان والده يعمل في إحدى الكنائس، وقضى طفولته في إحدى القرى بصعيد مصر، وقد تعلم فن البناء، ثم انتقل مع أسرته إلى ضواحي الإسكندرية، وهناك عكف على تعلم اللغة اليونانية ودراسة اللاهوت والأدب والفلسفة وعندما بلغ 23سنة ألف كتابين الأول (ضد الوثنية)، والثاني (تجسيد الكلمة)، وكان على علاقة طيبة مع بطريرك الإسكندرية، وبعد وفـــاة الأخير ارتقى أثناسيوس إلى عرش بطريرك الإسكندرية. يُنظر: عبد القادر أحمد اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية، بيروت، 1966، ص24–25.

(8) رمسيس عون، مرجع سابق، ص 78؛ نهاد خياطه، مرجع سابق، ص88.

(9) محمد محمد الشيخ، مرجع سابق، ص61؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص57.

الذي دفع آريوس لاتهام أثناسيوس[1] بفرض ضريبة على المصريين لاستخدامها في خدمة الكهنوتية[2]، وكذلك عمل على تعطيل إبحار القمح المصري الذي ينقل إلي عاصمة الإمبراطورية، ليجبر أصحاب السفن في الإسكندرية على نقله إلى القسطنطينية وروما كل عام، كما اتهمه بأنه باع القمح الذي منحه الإمبراطور للكنيسة لتوزيعه مجاناً بين المحتاجين[3].

وبالرغم من أن أثناسيوس كتب موضحا " بأنه وزع القمح على مستحقيه مجاناً، وأنه لم يبع القمح كله، إلا أن هذا لم يمنع الإمبراطور من عزل أثناسيوس من منصبه بعد عقده مجمعاً دينياً في صور عام 335م" [4]. فذهب أثناسيوس إلي بلاد الغال وروما؛ لينشر أفكاره ومذهبه فيهما، وبذلك سادت العقيدة الأثناسوسية الغرب الأوروبي آنذاك، وقد ظل أثناسيوس يناضل في سبيل عقيدته ونشرها حتى وفاته عام 373م[5].

نادى أثناسيوس بفكرة الثالوث المقدس(الأب – الابن - روح القدس) وأن الابن مساوٍ للأب في الجوهر والصفات، أي: أن الله واحد بالجوهر بثلاثة أقانيم[6]، ويعتقد أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة متميز، وأنه إله حقيقي، وأن اللـه الأب هو مالك وصانع كل شيء، واللـه الابن هو بكر الخلائق، وهو من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وخلق كل شيء من أجل خلاص الإنسان[7].

ويتبين من ذلك أن القول بالتثليث أصبح هو الأساس الذي تقوم عليه بعض مذاهب العقيدة المسيحية، وهذا ما أكده إنجيل يوحنا بقوله : " روح القدس الذي سيرسله الأب باسمي سيبلغكم كل شيء" [8]. إن نص يوحنّا هذا يقودنا ويؤكد بشكل قاطع على أن المسيح يصرح أن الإله سيرسل كائناً بشرياً ليؤدي الدور الذي كان يؤديه المسيح على الأرض، وبما أن المسيح ولد بحلول روح القدس على مريم العذراء خطيبة يوسف النجار[9] - حسب معتقدهم - مما جعلهم يعتقدون أن روح القدس مساوٍ للأب والابن في الجوهر والأزلية.

ثالثاً: المجامع المسكونية ونتائجها:

تعني كلمة المسكونية "العالم أجمع" ، وهي ترجمة للكلمة اليونانية: "Oikoumene" ايكوميني، وهي مشتقة من"oikos" بمعنى بيت، وكانت هذه المجامع تعقد لمعالجة قضايا إيمانية ظهرت في كنسية محلية معينة [10]، واحتاجت معالجتها مشاركة جميع الطوائف المسيحية؛ لمناقشتها من أجل

(1) مفيد الزيدي ، مرجع سابق، ص37؛ نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، جامعة دمشق، دمشق، 2000، ص162.

(2) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص35.

(3)جون.أ.هامرتن، تاريخ العالم،"اضمحلال قوة الغرب وأسبابها "بقلم: نورمان.هـ. باينز، ترجمة: إدارة الثقافة، مج4، مكتبة النهضة المصرية،(د.ت)، ص241.

(4) وسام عبد العزيز فرج، الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص32–33.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1 ، ص59 .

(6) اقانيم جمع كلمة أقنوم، هي كلمة سريانية بمعنى الأصل المركب والأصول والأقـانيم الثلاثة هي: "الأب (اللـه)– الابن(المسيح)، روح القدس". يُنظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص186.

(7) القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص278.

(8) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر/26، ص176.

(9) للمزيد حول الموضوع يمكن مراجعة الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط6، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص593؛ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، تعليق: سيف الدين الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 217–219.

(10) موسوعة من تراث القبط، مج5، سمير جرجس، "الكنيسة القبطية والحركة المسكونية"، بقلم: موريس أسعد، دار القديس يوحنا، القاهرة، (د.ت)،ص196.

اتخاذ القرارات بشأنها لتأكيدها أو رفضها، وما اعُتمد في هذه المجامع يُعد مصدراً من المصادر المرجعية للتشريع المسيحي، وقاعدة من قواعد العقيدة الأساسية [1]. ومن أهم هذه المجامع التي شهدت ظهور بعض الهرطقات ودحض بعضها الآخر:

1- مجمع نيقية 325م:

عُقد لفض النزاع الدائر بين آريوس وأسقف الإسكندرية، وقد حضره الإمبراطور قسطنطين، وعدد كبير من الأساقفة للرد على عقيدة آريوس، حسب ما ذكر"ابن خلدون" [2] أنهم كانوا 2040 أسقفاً، بينما ذكر أغلب المؤرخين[3] أن عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر، وقيل سبعة عشر أسقفاً.

ونلحظ هنا وجود فارق كبير في عدد الأساقفة الحاضرين لهذا المجمع عند المؤرخين، رغم قدم نص "ابن حزم" ت (456م)، إلا أن ما ذكره "ابن خلدون" يعتبر الأقرب للصواب لسببين:

أولهما: امتداد الإمبراطورية الرومانية واتساع أراضيها، واعتناق أجناس مختلفة من سكانها للديانة المسيحية على المذهب الآريوسي، خاصة في القسم الشرقي منها [4].

ثانيهما: أن جلَ الأساقفة الحاضرين كانوا يؤيدون عقيدة آريوس، الأمر الذي دفع قسطنطين إلى فض هذا الاجتماع دون التوصل إلى قرار، والدعوة إلى عقد اجتماع آخر في السنة نفسها، فحضره هذه المرة 318 أو 317 أسقفاً من المعارضين لعقيدة آريوس في الاجتماع الأول [5]، بينما نجد أن الأنبا غريغوري في كتابه "علم اللاهوت المقارن" ينفي وجود اجتماع آخر، ويذكر أن ثلاثمائة وثمانية عشر أوسبعة عشر أسقفاً، هو عدد الأساقفة الذين وقعوا على رفض عقيدة آريوس في الاجتماع نفسه[6].

واتفق الحاضرون في هذا المجمع على عقيدة التثليث، القائلة بألوهية المسيح [7]، وأصدروا قنون الإيمان[8] الذي نص على أن الابن مساوٍ للأب في الجوهر، أي المنزلة والمكانة، وحكم باختيار أربعة أناجيل وإتلاف البقية[9]، كما قرر هذا المجمع أيضاً تجريد آريوس من ألقابه الكهنوتية[10].

---

(1) عبد الرزاق رحيم صلال، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، عمان، 2002، ص117.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط4، ج 2، دار الإحياء العربي، بيروت، 1999، ص211.

(3) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنِحل، تحقيق: عبد العــزيز الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د.ت)، ص 182.

(4)سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص7–8؛ و.ر.انج، "الأديان المتنافسة"، تاريخ العالم، مج4، ص64.

(5) عبد الرزاق الأسود، مرجع سابق، ص226؛ نهاد خياطه، مرجع سابق، ص 88.

(6) الأنبا غريغوري، مرجع سابق، ص40.

(7) السيد الباز العريني، أوروبا في العصور الوسطى، ص74؛ مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص38–39.

(8) نؤمن بالله الواحد الأب، مالك كل شيء وصانع ما يرى ولا يرى، والابن الواحد؛ يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله، من جوهر أبيه الذي بيده، أتقنت العوالم، وخلق كل شيء من أجلنا، ومن أجل معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وجبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، نؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة، قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين. يُنظر: ابن حزم، مصدر سابق، ص44؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص188؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص278؛ ويعرف بـــ"الأمانة" أو في مقدمة ابن خلدون "الإمام"، ابن خلدون، مصدر سابق، ص 57.

(9) ليلى عبد الجواد إسماعيل، مرجع سابق، ص42؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص41.

(10) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص278.

2- مجمع القسطنطينية[1]الأول381م:

حضر هذا المجمع مائة وخمسون أسقفاً[2]، وعُقد على خلفية القضية الجديدة التي وضعت أمام الفكر المسيحي، وهي علاقة الروح بالأب والابن، ليبدأ الجدل الثالوثي الذي كان له الأثر الأكبر في إبعاد الشرق عن الغرب الأوروبي، الذي يقول بأن روح القدس تنبثق من الأب بالطبيعة، ومن الأب بالابن، أي: أنها مخلوقة[3]. وكان مخالفاً لقانون الإيمان الذي صدر في 325م، الذي يثبت بأن الله واحد، جوهر واحد، وطبيعة واحدة مثلث الأقانيم (الأب – الابن – روح القدس) [4].

وبلا ريب فإن القول بخلق روح القدس، يعني أن روح القدس غير قديمة وأزلية، والانبثاق على هذا النحو يجعل من روح القدس أقل درجة، وغير مساوية للأب والابن، حيث إن أتباع الديانة المسيحية رفضوا القول بانبثاق الروح من الابن؛ لأن هذا الانبثاق يجعلها مخلوقة، في حين أن انبثاق روح القدس من الأب يؤكد أنه موجود قبل العوالم وكل الخلق، وأنه أزلي عارف بكل شيء، " فالروح ليست مجرد شخص، إنما هو شخص إلهي" [5]. وهذا ما أكده القديس بولس في رسالته لأهل كورنتوس بقوله: "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله...وهكذا الأمور لا يعرفها أحد إلا الله" [6]. كما أكد هذا المجمع على انبثاق روح القدس من الأب والابن معاً؛ باعتبار أن الابن من جوهر الأب" أن روح القدس الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" [7].

ونتج عن هذا المجمع حسم الجدل مع الهراطقة بإثبات ألوهية روح القدس وجوب عبادة روح القدس، وتمجيده مع الأب، والابن لثبوت كمال لاهوته؛ ليكتمل قانون الإيمان الذي صدر عن المجمع المسكوني الأول في نيقية 325م، "نؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب، السجود له، والمجد مع الأب والابن الناطق في الأنبياء"[8] .

3- مجمع أفسس[9]الأول 431م:

عُقد هذا المجمع رداً على عقيدة نسطور[10]، وحضره مائتان من الأساقفة[11]، نادى نسطور ببشرية المسيح إلى جانب ألوهيته [12]، ثم ظهر بتعاليم جديدة مؤداها أن العذراء ليست (أم الله)، ومن تم

---

(1) بناها قسطنطين الأكبر عام 330م، وهي دار ملك الروم، وبينهما وبين بلاد المسلمين البحر المالح. يُنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص395.

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص318.

(3) نور الدين حاطوم، مرجع سابق، ص13، ص258.

(4) عمر كمال توفيق، مرجع سابق، ص71؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص57؛ ولتر فيلبس،" حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4، ص369.

(5) موسوعة من تراث القبط، مج2، سمير جرجس،"لاهوت روح القدس"، بقلم: ماهر إسحاق، دار القديس يوحنا، القاهرة، (د.ت)، ص 183.

(6) رسالة بولس الأولى لأهل كورنتوس الإصحاح الثاني، 11/10، ص270.

(7) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر /26 ، ص176.

(8) إنجيل متى، الإصحاح الأول /20 ، ص4، إنجيل لوقا، الإصحاح الأول/25، ص90؛ إنجيل يوحنا 26/15، ص177.

(9) هي إحدى المدن الإغريقية في آسيا الصغرى، تقع على الشاطئ الغربي لولاية ليبيا، وكان لموقعها الاستراتيجي أهمية في دورها كمركز للتجارة. يُنظر: الموسوعة العالمية الأثرية، إشراف: ليونارد كوتربل، ترجمة: محمد عبد القادر، زكي اسكندر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص63.

(10) ولد في سورية سنة381م، وتلقى تعليمه في أنطاكية، وأصبح راهباً؛ وتأثر بتعاليم ثيودوروس السائدة في أنطاكية والمناطق المجاورة لها آنذاك، وتميز بالذكاء والقدرة على الخطابة والفصاحة في التعبير عن آرائه، وفي سنة 428م نصب بطريرك على القسطنطينية، وكان يرى أن الوحدة في المسيح ليست إلا وحدة خارجية، وبعد وفاته قام أتباعه بنشر المسيحية في الشرق، بعد أن اتخذوا من مدينة طيسفون مركزاً لهم. يُنظر: نهاد خياطه، مرجع سابق، ص 90.

(11) القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص283.

(12) أحمد عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص40؛ عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص73

"لاينبغي لأحد أن يدعو مريم أم الله؟ ... وأن الله لا يمكن تلده امرأة من البشر" [1]. وبذلك رأى نسطور وأتباعه أن مريم لم تلد إلهاً، إنما ولدت إنساناً[2]، ويقولون: "إن الإله اتحد مع إنس ان فصار شيئاً واحداً، وإنما اتحادهما كاتحاد الماء في الزيت كل واحد منهما باقٍ بجنسه"[3].

بذلك فالمسيح عند النساطرة مكون من اقنوميين إلهي وهو الكلمة، وإنساني بشري هو يسوع، وأنه لا يوجد اتحاد بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية في شخص المسيح، بل "كل منهما باقٍ بجنسه وبطبيعته؛ أي: الفصل بين الطبيعتين" [4]. إن يسوع الإنسان لم يتحد بالذات الجوهر؛ أي: أنه ليس اتحاد بالمعنى الحقيقي، بل "هو مجرد صلة بين الإنسان و الألوهة " [5]؛ أي: إن الحلول الإلهي في شخص المسيح على سبيل المجاز، أي: "حلول الأخلاق والتأييد والنصرة" [6].

وبناء على هذا، فإن مريم لم تلد إلهاً، بل إنساناً حلت عليه كلمة الله أثناء التعميد وفارقته في الصليب، لذا لا يجوز أن تدعى أو يطلق عليها والدة الإله؛ لأن مريم جسد وعقل، ويتحتم على الجسد أن يولد جسداً [7]. أي: أن المسيح مخلوق، خلقه الله وسماه ابناً له على التبني لا على الولادة والاتحاد [8].

لذلك كانت آراء نسطور تناقض ما ورد في قانون الإيمان الذي صدر في مجمع نيقية 325م، " بأن الرب إله واحد مثلث الأقانيم (الأب – الابن – روح القدس)" [9]، والكنيسة في روما التي تؤمن بأن للمسيح طبيعتين، أحدهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية، فهو له مشيئتان، فالمسيح أقنوم إلهي بحث، ولكن له ذاتان وكيانان هي الإله والإنسان، وأن مريم ولدت الاثنين معاً، "فقد ولدت المسيح بطبيعتين مشيئتين و أقنوم واحد" [10].

بذلك قرر هذا المجمع تحريم عقيدة نسطور وعزله ونفيه، والتأكيد بأن العذراء هي والدة الإله؛ أي: أن الطبيعة الإلهية في المسيح مستوعبة الطبيعة البشرية والناسوتية مندمجة معها في وحدة واحد [أقنوم أزلي] بدون انفصال و لا تغيير[11].

4- مجمع أفسس الثاني 449م:

بسبب تجدد الخلاف مرة أخرى ضد القسطنطينية، وذلك عندما أعلن أسقفها بعث وأحياء العقيدة النسطورية من جديد، ودعا إلى ضرورة عقد هذا المجمع لإثبات أن للمسيح طبيعتين منفصلتين، ولكن يبدو أن انتصاره تم بأساليب غير مشروعة، مثل: الرشوة والتهديد[12]؛ لذلك عُرف هذا المجمع "بمجمع اللصوص"[13]، بسبب رفض الباباوات ورجال الدين في روما، الاعتراف بقرارات هذا المجمع[14].

(1) ابن حزم، مصدر سابق،ج1، ص39، القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص283.

(2) عمر كمال توفيق، مرجع سابق، ص72؛ رمسيس عون، مرجع سابق، ص84.

(3) ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ص43.

(4) أحمد عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص40؛ ولتر فيلبس،"حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4، ص370.

(5) الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص190؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ص86.

(6) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص283؛ ولتر فيلبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4، ص370.

(7) ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ص39؛ عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص72.

(8) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص384.

(9) الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص188؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ج13، ص278

(10) ابن الجوزي، المصدر السابق، ص86؛ القلقشندي، نفسه، ص283؛ ماهر عبد القادر وآخر، مرجع سابق، ص46.

(11) ولتر فليبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4 ،ص370.

(12)ابن الأثير، علي بن أبي مكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص255.

(13) ولتر فيلبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4،ص372.

(14) عبد الرزاق الأسود، مرجع سابق، ص226.

5- مجمع الخلقدونية[1] 451م:

عُقد بشأن إنهاء الجدل الدائر حول طبيعة المسيح، وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبية[2]، وكانت تعرف أيضاً بـ" المونزفيزية"[3]، سائر الفرق الأخرحيث قال أتباعها: "أن للمسيح طبيعة واحدة، أي مساق واحد إلا أنه من جوهرين"[4]؛ أي: أن للمسيح طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلهية، حيث اتحد الإله والإنسان في جوهر واحد من جوهرين، "طبيعة واحدة من طبيعتين"[5].

وبالرغم من أن جوهر الإله قديم أزلي، وجوهر الإنسان مولود محدث، إلا أنهما اتحدا فصارا جوهراً واحداً "أقنوم"، أي: حلول أو ظهور اللاهوت في الناسوت، فهو بناء على ذلك " إنسان كامل كله، وإله كامل كله"[6]. وأن المسيح الإنسان صار إلهاً، ولا يجوز العكس بمعنى أنهم قالوا بوجود طبيعة إلهية واحدة للمسيح ناكرين الطبيعة البشرية[7]، "وأن اتحادهما كاتحاد النار في الصفيحة المحماة ذوبان وانصهار"[8].

غير أن ما قالته اليعقوبية قد خالف الملكانية [9]، الذي يعد مذهبهم مذهب ملوك النصارى في إفريقية وأسبانيا والشام، وقالوا بالتثليث أن الله حسب قولهم ثلاثة أقانيم: (الأب – الابن – روح القدس)[10]، وأجمعوا على أن" القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث، وأن الأقنوم الذي هو الكلمة اتحد بالمسيح دون باقي الأقانيم"[11].

فالمكانية يؤمنون بأن جزء من اللاهوت (الأب)حل في الناسوت[12]، إلا أنهم يقولون بوجود طبيعتين المسيح طبيعة إلهية، والأخرى ناسوتية، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وبناسوته فصارت شيئاً

---

(1) خلقدونية هو الصقع الذي منه المصيصة وطرسوس، لكنها تكتب أحياناً باسم "غذقدونة"، كما ذكرها يزيد بن معاوية في أبيات من الشعر عند موت أبيه:

وإذا ارتفعت على الأنماط مصطحباً بدير مُــران عند أم كلثـــوم.

فمــا بالي بمــا لاقت جنودهـــم بالغذقدونة من حمى ومن موم.

يُنظر: الأصفهاني، الإمام الحافظ أبي نعيم، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج17، دار الثقافة، بيروت، ص441؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص440.

(2) نسبوا إلى يعقوب البردغاني، وكان كثير الزهد والتقشف، ويلبس الخرق، تلميذ سويوس بطريرك إنطاكية، وكان راهباً بالقسطنطينية، ويطوف البلاد، ويدعو إلى مذهب ديسفرس بطريرك الإسكندرية، وبطارقتها، ويدعون بالسريانية أحياناً لتحدثهم باللغة السريانية، ومنهم تفرع الموارنة في بلاد الشام. يُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، تحقيق: لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1993، ص145؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص190؛ المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص489؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص281.

(3) عمر كمال توفيق، مرجع سابق، ص73؛ أحمد عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص41 .

(4) القلقشندي، المصدر السابق، ج 13، ص281.

(5) أحمد عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، ص41.

(6) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص 281.

(7) ولتر فيلبس، "حرب المذاهب"، تاريخ العالم، مج4، مرجع سابق، ص370.

(8) ابن حزم، مصدر سابق، ج1، ص43؛ عبد الرزاق الأسود، مرجع سابق، ص219.

(9) هم طائفة انصاعت لقرارات مجمع الخلقيدونية 451م، الذي اتخذ فيه قرار ضد اليعقوبية أو المونزفيزية القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح، ولقبوا بذلك نسبة إلى ملكان أو مركان وهو الإمبراطور مرقيانوس الذي وقفوا في صفه، يُنظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص187؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص279.

(10) عبد الرزاق الأسود، المرجع السابق ، ص236.

(11) الشهرستاني، المصدر السابق ،ج1 ، ص191.

(12) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص279.

واحَداً، فهو إله تام كله، وإنسان تام كله[1]. وذلك عن طريق الامتزاج، حيث" أن الكلمة مازجت جسد المسيح مما زجت الخمر واللبن أو الماء واللبن"[2].

معنى هذا أنه من الصعب الفصل بين طبيعتين اللاهوتية والناسوتية للمسيح عند الملكانية؛ لأن التداخل كان بالذوبان والامتزاج التام بينهما[3]، أن مريم ولدت إلهاً أزلياً، قديم وأزلي من قديم وأزلي، وأن الأب والابن والروح القدس إله[4].

انتشر هذا المذهب الملكاني بداية في الشرق كمصر وسوريا، ثم سار في الغرب الأوروبي، وترتب على مجمع الخلقدونية ظهور عقيدة دينية تؤكد" أن للمسيح طبيعتين غير مندمجتين، ولا متغيرتين، ولامنقسمتين، ولا منفصلتين"[5].

6- مجمع القسطنطينية الثاني 553م:

أيد هذا المجمع قرارات مجمع نيقية، ومجمع القسطنطينية الأول، ومجمع الخلقدونية[6]، فقد لعن هذا المجمع أصحاب هرطقة تناسخ الأرواح التي أخذت عن الديانة الهندوسية وتقول: "أن الأرواح أي (النفوس) التي تنتقل من الأجساد إلى أجساد أخرى، لم تكن من نوع الأجساد التي فارقتها" [7].

وأصحاب هذه الهرطقة يعتقدون أن الأجساد بالية والروح باقية، وهذه الروح تنتقل من جسد إلى آخر حسب الأفعال[8]، " لأن الله جعل عباده منهم المصطفين، ومنهم الأشقياء"[9].

وفكرة انتقال الأرواح مبنية على العقاب والثواب؛ أي: أن تردد الأرواح في الثواب منبهاً للخير، وترددها في العقاب منبهاً على الشر، وأن الروح قديمة أزلية سرمدية خالدة؛ وأن وجودها سابق للبدن[10]، لذا فإنها تحيا بعد أن تفنى الأبدان[11]، بمعنى" أن الحشر يكون للأبدان فقط دون الروح"[12]، وفقاً لقانون الإيمان الذي صدر 325م" نؤمن...بقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الأبدين" [13]، إلا أن الملكانية خالفتهم في المعتقد فلديهم الحشر يكون للأبدان والأرواح معاً [14].

(1) الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص187؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص279.

(2) ابن حزم، مصدر سابق، ص43.

(3) القلقشندي، المصدر السابق، ج13، ص279.

(4) الشهرستاني، المصدر سابق،ج1 ، ص187.

(5) نهاد خياطه، مرجع سابق، ص95.

(6) عبد الزراق الأسود، مرجع سابق، ص227.

(7) ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ص72-79.

(8) البيروني، محمد بن محمد، تحقيق ماللهند، تصحيح: وزارة المعارف للحكومة المالية الهندية، عالم الكتب، بيروت، 1958، ص39-43.

(9) نور الدين حاطوم، مرجع سابق ، ج1 ، ص257.

(10)إن عقيدة أسبقية الروح على البدن نظرة أفلاطونية، وهي تختلف عن النظرة الأرسطية وأن الروح حادثة تخلق مع البدن، ولا توجد مستقلة عنها، وأيد ذلك الفارابي بحدوث الروح ورفض التناسخ. يُنظر: عرفات عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل، بيروت، 1993، ص103.

(11) نفس المرجع، ص27.

(12) علي عبد الواحد الوافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط2، نهضة مصر، القاهرة، 2004، ص184.

(13) الشهرستاني، مصدر سابق،ج1، ص187؛ القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص279.

(14) الشهرستاني، المصدر نفسه، ص187؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ص280-282.

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الكنيسة كانت لا تتهاون في التصدي للهرطقات معاقبة أصحابها وأتباعها بالسجن والنفي، وكذلك أصدر قرارات الحرمان ضدهم، والقيام بمصادرة أملاكهم في محاولة لإجبارهم للرجوع عن الهرطقة، وفي حال تكرر عودة أي مهرطق من الهرطقة، فلا يجوز حرمانه من الغفران السماوي[1]، وعليه " أن يرتدي صليباً مزدوجاً علامة على تركه للهرطقة"[2]، وإذا عاد إليها حق عليه الموت، وعندئذ لا تشفع له أي عقوبة أخرى لإنقاذه[3].

(1) ج.ج. كولتون، مرجع سابق، ص227.

(2) موريس بيشوب، مرجع سابق، ص145.

(3) ج.ج. كولتون،المرجع السابق، ص227.

وختاماً توصلت الدراسة للنتائج التالية:

- أوضحت الدراسة أن المسيحية تحولت من ديانة خاصة جاءت لإكمال توراة موسى وتصحيح انحرافات أحبار بني إسرائيل لديانة عامة؛ نظراً لما قام به بولس الطرطوسي من إلغاء لبعض المبادئ والأحكام والشرائع التي كانت سبباً في النفور بعض العناصر والأجناس منها، فضلاً على ما تضمنته من آراء خاصة بسمو الروح وتطهيرها لتجذب مختلف العناصر إليها.

- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الديانة المسيحية أخذت من الأديان السماوية السابقة لها جوهرها في الإيمان بفكرة وجود الله ووحدانيته، وأخذت من الفلسفة الهلنستية والأفلاطونية الحديثة الجانب الروحي التطهيري؛ بغية الخلاص والوصول للمعرفة الإلهية.

- أظهرت لنا الدراسة أن التفسيرات العقائدية حول طبيعة المسيح، أدخلت الديانة المسيحية في مجادلات عنيفة، كان السبب في حدوث الانشقاق الديني، حيت أصبح الجدل والهرطقات والمناقشات التي حوتها ردهات الأديرة أساس لعقيدة المسيح، فنقلها بذلك من التوحيد إلى القول بألوهية المسيح وعقيدة التثليث.

- يتضح لنا أن المجامع المسكونية التي عقدت للرد على الجدل والهرطقات فشلت في تحقيق أهدافها، وكانت السبب في ولادة فرق ومذاهب وشيع جديدة أضعفت ديانة المسيح، وشكلت أطر عقائدية منحرفة، وأسهمت في تعميق الفجوة بين الكنائس الرومانية؛ لتصبح أساساً للديانة المسيحية؛ ولتمهد فيما بعد للانشقاق الكنسي الكبير بين قسمي الإمبراطورية الرومانية الشرقي والغربي.

- يتراءى لنا بأن الجدل والهرطقة أفسح المجال لرجال الدين والإكليروس والأباطرة للتدخل بهدف وضع حد لها، وحفاظاً على وحدة الإمبراطورية الرومانية، مما أسهم في تعزيز مكانة كنيسة روما وازدياد نفوذ البابوية على حساب سلطة الإمبراطور الروماني، الأمر الذي ترتب عنه احتدام الصراع بين السلطة الدينية والزمنية في الفترات اللاحقة من تاريخ العصور الوسطى.

قائمة المصادر والمراجع

1.القران الكريم.

2.الإنجيل.

3.أعمار الرسل.

أولاً: المصادر:

-ابن الأثير،علي بن أبي مكرم ت (630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

-الأصفهاني، علي بن حسين بن محمد ت(356هـ/966م)، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج17، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

-البيروني، محمد بن محمد ت (440هـ/1048م)، تحقيق ماللهند، تصحيح: وزارة المعارف للحكومة المالية الهندية، عالم الكتب، بيروت،1958.

-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ت(597هـ/1200م)، تلبيس إبليس، تحقيق: محمد بن الحسن إسماعيل، سعد عبد الحميد السعدني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

-ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي ت(856هـ/1454م)، الفصل في الملل والأهواء والنِحل، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د.ت).

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت(808هـ/1406م)، المقدمة،ط4، دار الإحياء العربي، بيروت، 1999.

-الرازي، محمد بن أبي بكر ت(666هـ/930م)، مختار الصحاح، رتبه: محمود خاطربك، ضبطه: حمزة فتح الله، أحمد العوامري، ط5، المطبعة الأميرية، بولاق، 1939.

-السمرقندي، محمد بن محمد ت (330هـ/944م)، كتاب التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، (د.ت).

-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت (548هـ/1065م)، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.

-الطبري، محمد بن جرير ت (310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط6، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1967.

-الفيومي، أحمد بن محمد ت (770هـ/1368م)، المصباح المنير، تصحيح: حمزة فتح الله، ط1،ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، 1903.

-القلقشندي، أحمد بن علي ت (861هـ /1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تعليق: محمد شمس الدين، ج13، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت (751هـ /1350م)، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، تعليق: سيف الدين الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

-المسعودي، علي بن الحسين ت (346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: لجنة تحقيق التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت،1993.

-ـــــــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1997.

-المقريزي، أحمد بن علي ت (845هـ/1442م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ت).

-ابن منظور، محمد بن مكرم ت (711هـ/1311م)، لسان العرب، تحقيق:محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، مج1، دار المعارف، القاهرة،1977.

- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله ت (626هـ/1228م)، معجم البلدان، تحقيق:عبد العزيز الجندي، ج2، ج4،ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

-يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تعريب: مرقس داود، دار المحبة، القاهرة، 1998.

المراجع العربية:

- أشرف حافظ، معالم الفكر الأوروبي في العصر الوسيط، دار طيبة، بنغازي، 2004.

- الأنبا غريغوري، اللاهوت المقارن، مكتبة المتنيح الأنباغريغوري،(د.ت)،2003.

- جان كمبي، الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط2، دار المشرق، بيروت،2002.

-جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

- رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب،ط1، سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

-سعيد عبد الفتاح عاشور،تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

-ـــــــ،أوروبا في العصور الوسطى (التاريخ السياسي)،ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986.

-السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

-ـــــــ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1968.

-عبد الرزاق الأسود، المدخل إلي دراسة الأديان والمذاهب، ط1، العربية للموسوعات، بيروت،1981.

-عبد الرزاق رحيم صلال، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، عمان، 2002.

-عبدالقادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية (476-1500م)، المكتبة العصرية، بيروت، 1966.

-ـــــــــــ، الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية، بيروت، 1966.

-عرفات عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، دار الجيل، بيروت، 1993.

-علي عبد الواحد الوافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط2، نهضة مصر، القاهرة، 2004.

-عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009.

-فياض ومنصوري، النصارى، دار أسامة، دمشق، 1998.

-كمال الصليبي، البحث عن يسوع (قراءة جديدة في الأناجيل)، دار الشرق، رام الله، (د.ت).

-ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، بيروت، (د.ت).

- ماهر عبد القادر وحربي عباس، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

-محمد محمد الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

-محمود سعيد عمران، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.

-ـــــــ، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

-مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا (476-1500م)، ط1، دار أسامة، عمان، 2004.

-نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى،ط2، جامعة دمشق، دمشق، 2000.

-نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا،ج1، دار الفكر، دمشق، 1967.

-نهاد خياطه، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق، (د.ت).

-وسام عبد العزيز فرج، الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

المراجع المعربة:

- ب. هـ. رومنقتين، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، ط4، (د.ن)، (د.م)، 1994.

بيير كانيفييه، المسيحية في سورية من البدايات حتى الإسلام، ترجمة:موسى الخوري، دار أبجدية، دمشق، 1999.

-ج.ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

-جون.أ.هامرتن، تاريخ العالم، ترجمة: إدارة الثقافة بوزارة التعليم، مج4، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت).

-ف.شيتون، الإيمان والإسلام والإحسان، ترجمة: نهاد خياط، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1960.

-فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

-موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.

-نورمان.ف.كانتور، قصة الحضارة (البداية والنهاية)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط5، عين للدراسات والأبحاث، المنصورة،1977.

-ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مج3، دار الجيل، بيروت،(د.ت).

المراجع الأجنبية:

- Frithj of schoun, Del'unite eranscea dante des religions, 1979.

-Glover, (T.R), The Conflict of Religions in the Earl Roman Empire, London,1909.

-Gibbon, (E.D), The Decline and fall the Roman Empire, vol,1,The modern library, now York.

الموسوعات:

-موسوعة من تراث القبط،مج2، مج5، سمير جرجس، دار القديس يوحنا، القاهرة، (د.ت).

-الموسوعة العالمية الأثرية،إشراف: ليونارد كوتربل، ترجمة: محمد عبد القادر، زكي اسكندر، الهيئة المصرية لكتاب، القاهرة، (د.ت).

المجلات العلمية:

-يحي بوعزيز،"عنابه في التاريخ"، الأصالة، عدد7، يونيو،1976.